

المبحث الثاني عشر

أسباب تلوث القلوب

وإحباط العمل

أسباب تلوث القلوب وإحباط العمل

الحمد لله رب العالمين، يا ذا العرش المجيد، يا فعال لما يريد، يا من هو الرحمن على العرش استوى، يا عز كل ذليل، يا غنى كل فقير، يا مغيث كل ملهوف، يا سامع الدعاء، يا كاشف البلاء، يا رافع السماء، يا من هو أقرب إلينا من أنفسنا، يا من هو أقرب إلينا من حبل الوريد، يا من يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور، يا من أحاط بكل شيء علماً، القلوب إليك مفضية، والسر عندك علانية، لا يرتفع شيء إلا بإذنك، ولا يتقدم شيء ولا يتأخر شيء إلا بمشيئتك، كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ فِي هَذَا لَبَلَعًا لِقَوْمٍ عَكِيدِينَ﴾ (١٠٦) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرَى أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرَى لَعَلَّهُ فِتْنَةً لَّكُمْ وَمَنَعَ إِلَيَّ حِينَ ﴿١١١﴾ قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾ [الأنبياء: ١٠٦ - ١١٢].

سبحانك أنت الرحمن، وأنت المستعان، وأنت المحمود على كل لسان، اللهم لك الحمد كالذي نقول، ولك الحمد خيراً مما نقول، نحمدك كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، فأنت رب الملك والملكوت، وأنت الحي الذي لا يموت، سبحانك يا من سبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته، ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقُ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣].

والصلاة والسلام على سيد الخلق، وحبیب الحق سيدنا محمد، صاحب الوجه الأنور، والجبين الأزهر، وصاحب المقام المحمود، واللواء المعقود، وأول شافع، وأول مشفع، وأصدق قائل بعد الله ﷻ، وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة وعلى آله وصحبه الكرام، اللهم اجعل يومنا خيراً، اللهم اجعل نهارنا خيراً من ليلنا، واجعل ليلنا خيراً من نهارنا، واجعل نهارنا ذكراً، وليلنا قياماً وشكراً، أدعو الله تعالى أن يفتح لنا ولكم الفتح المبين

﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩]، وأن يعلمنا ويعلم بنا، أن يسعدنا ويسعد بنا، ويجعلنا وإياكم مفاتيح الخير ومغاليق الشر، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الكرام.

يأتي السؤال هنا: هل سن الخامسة والثمانين يسقط عن بالغه التكليفات؟ أي ليس عليه صلاة، ولا صيام ولا شيء، ويعتقد أن الله تعالى أسقط عنهم التكليفات الشرعية الحقيقية، هذا كلام خاطئ؛ لأن المسلم عندما يخرج نفسه من دائرة الإيثار ويلقى الله تعالى بوجه مكسوفٍ مخسوفٍ، وينقطع عن العبادة، ويتفرغ لأوقات اللهو التي يقضيها باعتبار أنه ليس مكلفاً بشيء؛ فإنه يلقي الله تعالى بوجه أسود، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠].

أي: ويوم القيامة ترى هؤلاء المكذبين الذين وصفوا ربهم بما لا يليق به، ونسبوا إليه الشريك والولد وجوهم مسودة، أليس في جهنم مأوى ومسكن لمن تكبر على الله، فامتنع من توحيده وطاعته؟ بلى.

الإنسان إذا مر عليه يوم ولم يُصَلِّ فقد أصابه صدامٌ وغبار شديدان، الإنسان إذا مر عليه وقت، ولم يستجب لنداء الرحمن ولم يُصَلِّ؛ فإن قلبه صار خارج إطار الخدمة وخدمتك في طاعة ربك، وخدمتك في أن تفعل ما فعله النبي العظيم ﷺ الذي قال عنه الملك ﷻ، في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

أي: لقد كان لكم أيها المؤمنون في أقوال رسول الله ﷺ وأفعاله وأحواله قدوة حسنة تتأسون بها، فالزموا سنته، فإنها يسلكها، ويتأسى بها من كان يرجو الله واليوم الآخر، وأكثر من ذكر الله واستغفاره، وشكره في كل حال.

من الذين يحبون رسول الله ﷺ؟ ومن الذين يحبون الله تعالى؟ وكيف يتبعون ما أمر به الله ﷻ، وكيف يتبعون رسوله الكريم؟

انظر ماذا قال الله ﷻ في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

أي: لقد كان لكم أيها المؤمنون في أقوال رسول الله ﷺ وأفعاله، وأحواله قدوة حسنة تتأسون بها؛ فالزموا سنته، فإنما يسلكها ويتأسى بها من كان يرجو الله واليوم الآخر، وأكثر من ذكر الله واستغفاره، وشكره في كل حال.

لا بد وأن يبقى على طاعة، ولا بد وأن ينغمس في الطاعة، وعندما تستشعر أنك لست مستريحًا لصلاتك، فخير لك أن تعيدها، وعندما تستشعر أنك سرحت في الصلاة كثيرًا، فخيرًا لك أن تعيدها عندما تستشعر أن قلبك كان في مكان، وأن لسانك كان في مكان آخر، فخيرًا لك أن تعيدها وكنت قد صليتها، ولكنك أذهبت بهجتها، وأذهبت ضياءها كهذا الرجل الذي أتى وصلى ورسول الله ﷺ جالس، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لقد استعجلت في صلاتك صل مرة أخرى، فصلي الرجل صلاةً مسروقةً، وهي التي ذهب خشوعها وتسمى بالصلاة المسروقة، أي الصلاة التي سرق منها الخشوع، والركوع، والسجود أي الإنسان يؤديها خطفًا سريعًا، ولماذا جعلتهم يا رسول الله خارج ملة الإسلام؟

لأنه عندما يؤدي الصلاة باستعجال وباستخفاف، فإنه لا يوقر الملك الذي سترفع إليه الصلاة، كالذي يقدم هدية لشخص، والله المثل الأعلى ليس كمثله شيء، فأتى له بهدية غير طيبة، فقال له آخر: يصح أن تقدم له هذه الهدية غيرها يا أخي، وظل يُغيّر في الهدية، ويحسنها ويجوّد فيها، حتى قال صارت طيبة، وجميلة، ولكنك عبثت بالصلاة، ولم تحضر فيها قلبك ولم ترَوْ فيها ظمأك.

إننا نتحدث الآن عن المصلين الذين يصلون بالفعل، ورغم هذا فإن صلاتهم تجبّط رغم أنهم صلوا، وربما يكون صلى جماعة أيضًا، كالذي لم يُصل في الأصل أو كهذا الرجل الذي امتنع عن الصلاة خمس سنوات، ولقي الله تعالى، ولم يختم له بالصلاة عندما تحدثنا عن أحوال المصلين

الذين يؤدون الصلاة بلا خشوع، وبلا قلب، وبلا روح فتلك صلاة ميتة لا تغير في قلب الإنسان، ولا تؤثر فيه، ولا تنور قلبه، ولا تؤثر في أخلاقه أي صلى وكأنه لم يصل .

بعض الزوجات تُسيء معاملة الزوج؛ لأنه لا يصلي، وآخرون يطلبون الطلاق منه لأنه لا يصلي، إن الله ﷻ يقول: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ۖ سِيَذَّرَكُ مَن يَخْشَىٰ ۚ وَنَجِّنْهَا الْأَشْقَىٰ﴾ [الأعلى: ٩ - ١١].

فعظ قومك أيها الرسول حسبها يسرناه لك بما يوحى إليك، واهداهم إلى ما فيه خيرهم، وخصّ بالتذكير من يرجى منه التذكر، ولا تتعب نفسك في تذكير من لا يورثه التذكر إلا عتوا ونفورا، سيتعظ الذي يخاف ربه، وابتعد عن الذكرى الأشقى الذي لا يخشى ربه.

كما في قوله تعالى: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢]. أي: ليس عليك إكراههم على الإيمان، وإن الله تعالى عندما أرسل موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون كما في قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا يَعْلَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤]. أي: فقولا له قولا لطيفا؛ لعله يتذكر أو يخاف ربه.

ربما بعض الأزواج يُعاند، ويقول: لا أسمع كلام كذا، وكلام كذا أنا حر في قراري، وأنا حر في كذا... مؤكداً أنه مُحطى، وتأخذه نزعة الجاهلية، إنما المسلم يستجيب للحق، ينصاع للحق، لأن الملك ينادي عليك: أنت لا تصلي كيف تعيش دون صلاة؟ كيف تنام؟ كيف تهضم طعامك؟ كيف تعمل! كيف! كيف!!

إن الملك ينادي عليك كما جاء في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

أي: ألم يحن الوقت للذين صدّقوا الله ورسوله ﷺ واتبعوا هديه، أن تلين قلوبهم عند ذكر الله، وسماع القرآن، ولا يكونوا في قسوة القلوب كالذين أوتوا الكتاب من قبلهم من اليهود والنصارى الذين طال عليهم الزمان فبدّلوا كلام الله؛ فقسّت قلوبهم، وكثير منهم خارجون عن طاعة الله؟ وفي الآية نجد أن الحث على الرقة والخشوع لله ﷻ عند سماع ما أنزله من الكتاب والحكمة، والحذر من التشبه باليهود والنصارى، في قسوة قلوبهم، وخروجهم عن طاعة الله.

متى تأتي توبتك؟ ربما النصيحة الشديدة تأتي بالعكس، والنصيحة اللينة الرقيقة تقول له: جرب الصلاة، صلّ بنا العشاء، فإنهم كأسرة يدعونه إلى الصلاة، افتح معنا المصحف هذا يوم جمعة نقرأ جميعاً سورة الكهف، أو يقرأ كل واحد منا رُبْعاً منها، ولكن الدعوة إلى الصلاة عندما يدعو أحد إلى الصلاة: الزوج يدعو الزوجة، أو الزوجة تدعو الزوج للصلاة بصورة فيها مجادلة، ومشاكسة، ونديّة شديدة، وبعض الناس يقول: أنت لست فيك الخير، وأنت شيطان جالس معنا في البيت، وإذا دخلت البيت تذهب البركة من البيت هذا كلام صعب، وبعض الأزواج يمتنعن عن أزواجهن من باب العقاب، لأنه لا يصلي، فتعاقبه من هذه الناحية كنوع من التأديب، ونوع من العقاب لكونه لا يصلي، وهو أيضاً يزداد في غضبه وحقه عليها، وربما يسلك طريق المعصية، ويقول: هي السبب، هي التي جعلتني أفعل هذا، إن الله ﷻ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

أي: يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله محمد ﷺ كونوا قَوَّامِينَ بالحق؛ ابتغاء وجه الله، شهداء بالعدل، ولا يحملنكم بُغْضُ قوم على ألا تعدلوا،

اعدلوا بين الأعداء والأحباب على درجة سواء، فذلك العدل أقرب لخشية الله، واحذروا أن تجوروا، إن الله خير بما تعملون، وسيجازيكم به.

إن تلوث القلوب الذي تحدثنا عنه من قبل، ومن أين يأتي لهذا القلب حالة التلوث؟ إن الله تعالى قال لحبيبه ﷺ وعلى آله وصحبه الكرام، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْطَبَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

أي: ولقد أوحى إليك أيها الرسول، وإلى من قبلك من الرسل: لئن أشركت بالله غيره ليحطبن عملك، ولتكونن من الهالكين الخاسرين لدينك وآخرتك؛ لأنه لا يقبل مع الشرك عمل صالح.

والكلام لسيدنا النبي ﷺ، وهل يتصور أن رسولا يشرك بالله ﷻ؟ الذي جعله رسولا، الذي أنزل عليه الكتاب، وهو يتولى الصالحين، إن الله تعالى يعلمنا في شخص سيدنا محمد ﷺ، وليس بالضرورة الشرك كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْطَبَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

فليس بالضرورة أن يكون الشرك هو أن تشرك بالله شيئا، أو أن تعبد مع الله تعالى أحدا، لا، ليس هذا، وإنما الشرك هنا أن تلوث قلبك بالتعلق بغير الله تعالى، أو أن تلوث قلبك بالاستعانة بغير الله تعالى، أو تلوث قلبك بأنك تعمل عملا صالحا، ولكنك ما أردت به وجه الله تعالى هذا اسمه شرك، فأنت مسلم تقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، ولكنك في غفلة من الغفلات، والذي يقول في نفسه: إني أريد أن أعمل حسنة فأتمنى لو أن الناس ذكروه بالخير. وأن يقال: فلان زار دار الأيتام، وفلان أطعم الطعام، فلان عمل كذا وكذا، لو أتى إلى قلبك وأنت تفعل خيرا لله تعالى، وتعمل لله تعالى واردة، ولكنه تخطر لك خاطرة أو شاردة تريد أن تذكر عند الناس،

والناس يتناقلون أخبارك، ويشيدون بك لو جاءك هذا الإحساس؛ فأنت داخل في هذه الآية كما في قوله تعالى: ﴿.....لَيْنَ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ.....﴾ [الزمر: ٦٥]

كل هذا يذهب؛ لأن عملك لم يكن نقيًا شابه تلوث. والله ﷻ لأنه العزيز، ولأنه الكبير، ولأنه المتعالي، ولأنه أولى بالحمد، ولأنه أولى بالشكر لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

وبعد أن يحبط العمل الإنسان يساوي صفرًا، وليس عنده شيء، ولتكونن من الخاسرين، وخسر أي: أصبح نتاج عمله صفرًا، ماذا أفعل، بل الله فأعبد، أي اجعل عملك وسعيك وقصدك، واجعل العبادة والذكر، واجعل كل شيء للملك كما جاء في قوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٦].

أي: بل الله فاعبد أيها النبي مخلصًا له العبادة، وحده لا شريك له، وكن من الشاكرين، لله نعمه.

إنك إذا أخلصت فأنت من الشاكرين، وإذا لم تخلص فأنت من الخاسرين في أي الركبين أو الفريقين تشاء؟ أ تكون مع الشاكرين إذا أخلصت لله تعالى، أو تكون مع الخاسرين إذا فعلت العمل، وهو عمل صالح وتحب أن يطلع عليه الناس؟

الأساس لك أنك خاشع فقال: عندما أخشع في المسجد، والناس يشاهدونني وأنا خاشع، الخشوع أساس في قبول الصلاة، فأبو حامد رحمه الله يقول: يأتي على القلب خاطر وإحساس أنني إذا خشعت في الصلاة ورآني الناس على الخشوع ويطيل في السجود، ويتمعن في الصلاة فإنه يتهم نفسه بالرياء رغم أنه ليس مرئيًا؛ لأنه لو صلى في البيت قيام الليل سيجود أكثر، ولو صلى صلاة الضحى ولم يره أحد سيجود أكثر هو صلى في المسجد صلاة فجودها وحسنها؛ لأن عمله كله كذلك على نفسها الشاكلة

من الإتقان والإحسان والإجادة؛ لأنه يعلم أن هذه الصلاة مرفوعة إلى الملك فكيف يحسنها وينقيها ويجودها .

فقال: إني أتهم نفسي ... إنني كلما صليت في المسجد وأخشى أن أكون مرئياً، وقال: إن مالك بن دينار كان يصلي في المسجد، فمرت امرأة فشاهدته وهو يصلي، فكان الرجل يبكي، وكان خاشعاً، ووصل إلى مرحلة من الخشوع فإذا به يبكي لا تدري لعله كان يصلي الضحى، أو كان يقيم الليل، فإذا بامرأة سمعت شخصاً يبكي فإذا هو مالك بن دينار فقالت: ما سمعت أحداً مرئياً على وجه الأرض مثل هذا الرجل، وربما سمعها فلما انتهى من صلاته تذكر ما قالت هذه المرأة، فقال له أحد الناس: أتدري ما قالت؟ فقال: وماذا قالت؟ أنا كنت أناجي الملك، فقال: قالت المرأة، ما وجدت أحداً مرئياً على وجه الأرض مثل هذا الرجل، أي: إنه منافق؛ لأنه صلى في المسجد ببكاء وخشوع، وربما أنه إذا صلى في بيته لم يصل بالخشوع ذاته، فقال: والله ما عرفني غيرها فقد أحسنت فيما قالت.

أيضاً نوع من اتهام النفس، أنه يتهم نفسه بالنفاق، هذه مرتبة صديقية حدثك عنها لا يصل إليها إلا رجل تشبه بالصديق أبي بكر رضي الله عنه، أو تشبه بحنظلة رضي الله عنه؛ لأجل هذا فإن القلب يحتاج إلى تنقية، وكلما أشعرني أفعل معصية، فإني أراجع قلبي مع هذه المعصية، وأرى لماذا فعلت هذه المعصية؟ ولماذا قلت هذه الكلمة؟ لماذا نظرت هذه النظرة؟ لماذا أنفعل وأنا عصبي؟

ما الذي يصل بالإنسان إلى أن يكون عصبياً، ويبدأ يأتي بحجر وكلما أراد أن ينفع فإنه يضع الحجر في فمه فيسكت، وكلما هم أن ينفع فإنه يسكت، ويأتي بمرأة وكلما ينفع فإنه ينظر في هذه المرأة ويرى وجهه عند الانفعال، ويرى وجهه غضوباً كسوفاً هائجاً ثائراً، عندما ينفع ويكون أحمر العينين بعد هذا لا ينفع، أي: كل أسباب التلوث التي تأتي لك تستطيع أن تمنع نفسك عنها .

فهذا الرجل لما أتى النبي العظيم ﷺ فقال له النبي ﷺ: قل هذا الدعاء: «اللهم إن مغفرتك أوسع من ذنوبي، ورحمتك أرجى عندي من عملي»^(١). فأخذها الرجل وظل يقولها ويعيدها، ويقولها علي هذه الحالة من المحبة فيما أعطاه النبي الخاتم ﷺ بعد أن مسح على صدره، فعاد الرجل فقال: يا رسول الله ﷺ، فقد أذهب عني الله ما كنت أجد. أي الحمد لله صار صدري منشراحاً وأتحمل إذا أهانني أحد، أو سبني أحد فإني لا أثور أو أنفعل وإنما أكظم غيظي ماذا يفعل الإنسان النقي التقي؟ وعندما يقال: إن القلب يأتيه فتن من جميع الجهات تذكروا كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَا لَهُمْ مُّصِیْرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

أي: إن الذين اتقوا الله من خلقه، فخافوا عقابه بأداء فرائضه، واجتناب نواهيه، إذا أصابهم عارض من وسوسة الشيطان تذكروا ما أوجب الله عليهم من طاعته، والتوبة إليه، فإذا هم منتهون عن معصية الله على بصيرة، آخذون بأمر الله، عاصون للشيطان.

هذا هو الحل: إن الذين اتقوا، أي في مرتبة إيمانية عالية، ورغم هذا تذكروا أن الشيطان لا يستولي على قلوب أحباب الله تعالى، وأنهم يكيدون كيداً، وأن الشياطين يكيدون كيداً، ويتوحشون على قلوب الناس ويستولون على قلوبهم، ولكن ماذا أنت فاعل إذا تكالبت الشياطين على قلبك؟ ماذا أنت فاعل أن الله تعالى علمك. كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].

أي: فإذا أردت أيها المؤمن أن تقرأ شيئاً من القرآن، فاستعذ بالله من شر الشيطان المطرود من رحمة الله قائلاً: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

بعض الشباب يقول لك: أنا أصلي، ولكن عندي مشكلة كبيرة أنه لا يستطيع أن يغض بصره يكون انتهى من صلاته بالمسجد، وتجده يحملق هنا،

(١) رواه: جابر بن عبد الله، المحدث: المنذري، المصدر: الترغيب والترهيب، رقم الحديث: ٣٨٦/٢.

ويحملك هنا، والشيطان يفهمه أن له النظرة الأولى، وهذه مرة، وهذه مرة، ويأخذ سوءات كل نظرة نظرها ضيع بها صلاته.

إن الفتن في الأساس عندما تأتي قلب الإنسان، فإنه يرفضها، فهناك من يفتن، والفتنة تعمل في قلبه كمن يستريح لسماع الأغاني فتأتي هذه الفتن لتمييز قلوب الناس، الأساس أن ترفض الفتن، لا أرغب أن أسمع ما حرم الله، وأغض بصري، وأغلق أسماعي، فتأتي الفتنة عابرة، ولكنها تستمر في قلوب بعض الناس، وبعض الناس يرفضونها؛ ولذا فإن بعض الشباب يقعون في هذه المعصية وهو لا يستطيع أن يغض بصره؛ لأنه ليس له قدرة أنه يغض بصره، فالمفروض أنه لو رأى امرأة تسير أمامه لا يتعقب ملاحها ولا يتبعها ببصره .

اللهم حبب إلينا صلاة الجماعة، وذكركنا بالموت كل ساعة، اللهم أصلح لنا البال، اللهم اغننا بحلالك عن حرامك، واكفنا بفضلك عمن سواك، اللهم جنبنا الفتن والفواحش والمعاصي، ما ظهر منها وما بطن.

اللهم نسألك توبة الصادقين، ونسألك صدق المؤمنين، ونسألك إيمان الذاكرين، ونسألك ذكر الموحدين، ونسألك توحيد الموقنين، ونسألك يقين المقربين.

اللهم اجعلنا عند الموت من المثبتين، واجعلنا عند الحشر من الآمنين، واجعلنا يا ربنا يوم القيامة من الناطرين.

اللهم هبني لنا من أمرنا رشداً، اللهم اجعلنا من عبيدك السعداء، اللهم أصلح أعمالنا، وأحسن خواتيمنا، وتوفنا وأنت راض عنا، نسألك قبل الموت توبة، وعند الموت شهادة وتثبيتاً، وبعد الموت مغفرة وجنةً ونعيماً، اللهم اغفر لي ولوالدي، وللمؤمنين يوم يقوم الحساب.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه الكرام، في الليل إذا يغشى، وصلِّ على سيدنا محمد في النهار إذا تجلَّى، وصلِّ على سيدنا محمد في الآخرة والأولى، وصلِّ على سيدنا شاباً زكياً؛ وصلِّ على محمد كهلاً مرضياً، وصلِّ على محمد منذ كان في المهد صبياً وسلم تسليماً كثيراً.